مجلة البلقاء للبحوث والدراسات

مجلة علمية محكمة متخصصة, تصدر عن جامعة عمان الأهلية

ص ١٨٩

المجلد ٢٣
العدد ١
٢٠٢٠

الأطماع الاستعمارية الإيطالية في سوريا ولبنان (١٨٧٠-١٩٤٥م)

Italian Ambitions in Syria and Lebanon (1870-1945)

الملخص

تهدف هذه الدراسة البحث في الأطماع الاستعمارية الإيطالية في سوريا ولبنان في الفترة (١٨٧٠-١٩٤٥م), حيث ترصد الدراسة الطموح الاستعماري الإيطالي في تلك المنطقة. كما تبيّن أسباب التوجه الإيطالي إلى البحث عن موطئ قدم لها هناك, والوسائل التي اعتمدتها لتحقيق ذلك. وتعرج الدراسة على التوجه الإيطالي نحو سوريا ولبنان, وعزمها التدخل في الحرب الأهلية اللبنانية سنة ١٨٦٠م. كما تذكر الدراسة المطالبات الإيطالية في الانتداب على سوريا ولبنان كبديل للانتداب الفرنسي. وخلصت الدراسة إلى أنه على الرغم من الجهود التي بذلتها إيطاليا في تحقيق طموحاتها في سوريا ولبنان, فإنها اصطدمت بعمق وقدم المؤسسات التي أنشأتها إنجلترا وفرنسا في تلك المنطقة.

الكلمات المفتاحية:

الأطماع الإيطالية, الاستعمار الإيطالي, سوريا, لبنان.

الدكتور: أحمد تركي الشريدة
Dr. Ahmad T. Alshrideh
محاضر - الجامعة الأردنية
ahmad.shrideh@yahoo.com

تاريخ الاستلام: ٢٠١٩/٣/٣١

تاريخ القبول: ٢٠٢٠/١/٢٩

Abstract

The aim of this study is to clarify the Italian Ambitions in Syria and Lebanon (1870-1945), and shows the Italian orientation in this region, and to know the Italian methods to achieve its ambitions. The study talks about the Italian movement towards Lebanon, and the Italian's Intervention in Lebanese civil war 1860. Finally, the study recalls the Italian claims her mandate to Syria and Lebanon as an alternative to the French mandate. The study concluded that, despite Italy's efforts to achieve its ambitions in Syria and Lebanon, it deeply collides with the legacy institutions that established by England and France in that region.

Keywords:

Italian ambitions, Italian colonialism, Syria, Lebanon.

المقدمة:

الوطن العربي من أهم المناطق الإستراتيجية تميزاً منذ فجر التاريخ، وهو محط أنظار الإمبراطوريات المختلفة، وبمرور الزمن تباينت أهميته السياسية والاقتصادية، لغناه وامتلاكه للعديد من الثروات الطبيعية والمواد الخام. ولقد كانت سوريا ولبنان من عناصر أهميته الرئيسة، وخاصة وقوعهما على ساحل البحر المتوسط، فتنازعت عليهما القوى الخارجية، مما عرضهما لموجات من الاحتلال التي اشتدّت مع ظهور الامتيازات الأجنبية في عهد الدولة العثمانية، وأدى إلى ظهور التنافس الاستعماري الغربي للسيطرة على هذه البلاد. لقد اتفقت الدول الاستعمارية على تقاسم المنطقة العربية، واستغلال مقدراتها (Luigi, 1872, pp 99-101).

كانت بريطانيا وفرنسا في مقدمة الدول الاستعمارية التي احتلت أجزاء من بلاد الشام، بالإضافة إلى إيطاليا التي دخلت ميدان التنافس متأخرة بسبب انشغالها بوحدتها الوطنية. وهو ما جعلها تنطلق بسرعة نحو إيجاد موطئ قدم لها في هذه المنطقة. لقد كانت إيطاليا من الدول الأوروبية الكثيرة التي تصدرت لاحتلال بعض المناطق العربية مثل؛ ليبيا والصومال، إلا أن كثيرا من البلاد العربية، كانت واقعة تحت المخططات الاستعمارية الإيطالية، من هنا كان هذا البحث الموسوم بالأطماع الاستعمارية الإيطالية في سوريا ولبنان في الفترة (١٨٧٠-١٩٤٥م)، ليبيّن الأطماع الاستعمارية الإيطالية في سوريا ولبنان (أنساباتو، ١٩٨٠، ص ٨٨).

لتحديد الإطار المنهجي للدراسة تم طرح السؤال المركزي، هل كانت إيطاليا من الدول التي تمتلك أي طموح استعماري في سوريا ولبنان؟ وبنيت الفرضية على أن إيطاليا كانت خارجة من وحدتها حديثاً، لذلك سعت بكل جهد للبحث عن موطئ قدم لها في الشرق، لذلك تكمن أهمية الدراسة في البحث عن الدور الاستعماري الإيطالي في سوريا ولبنان، كدولة استعمارية جديدة على خارطة الاستعمار، لم نعتد على ذكرها كثيراً في تاريخ المنطقة العربية (Luigi, 1872, pp 103-105).

وقد تم تحديد الإطار المكاني للبحث بحيث يغطي سوريا ولبنان، في حين تم تحديد الإطار الزمني للدراسة في الفترة منذ عام١٨٧٠م، وهي الفترة التي تمت بها وحدة إيطاليا باسم المملكة الإيطالية، وبدأت فيه تنشط كدولة استعمارية على خريطة العالم، بينما كانت سنة ١٩٤٥م، السنة التي خسرت فيها إيطاليا الحرب العالمية الثانية، وتراجعت أطماعها. وقد تم الاعتماد على الكثير من المصادر الإيطالية التي كانت تروج للسياسة الاستعمارية الإيطالية في الخارج، وخاصة في المنطقة العربية (Cresti e Melfa, 2003؛ Piazza, 2011).

الاهتمام الإيطالي في سوريا ولبنان.

يرجع تاريخ الاهتمام الإيطالي بسوريا ولبنان إلى زمن المدن الإيطالية التي سبقت غيرها من الدول الأوروبية، في الحصول على الامتيازات الأجنبية من الدولة العثمانية. وبذلك توجهت سياسة هذه المدن الخارجية نحو التوسع صوب تلك المناطق، فشرعت بإرسال روادها المستكشفين ليجوبوا الأقطار العربية من أمثال المستشرقين أنريكو أنساباتو (Enrico Insabato) (١٨٧٨-١٩٦٣م)، وكارلو. أ. نلينو (Carlo. A. Nallino) (١٨٧٢– ١٩٣٨م)، وخاصة سوريا ولبنان(Lintner, 2004, pp 77-109)[1].

هذا بالإضافة إلى البعثات التبشيرية التي توالت على سواحل البحر المتوسط في سوريا ولبنان. وبعد أن استكملت إيطاليا وحدتها سنة ١٨٧٠م، تطلعت أنظارها نحو الاستعمار الخارجي، بهدف توسيع رقعتها الجغرافية، وتحقيق رغبتها في استعادة أمجادها القديمة. وقد أكد الأديب كامبو لويجي (Campo Luigi) في كتابه الأولوية الإيطالية في البحر المتوسط الصادر سنة ١٨٧٢م بقوله: "في المستقبل القريب ستقوم إيطاليا بضم معظم الأمم القاطنة حول حوض المتوسط" (Luigi, 1872, p. 105).

كانت إيطاليا تعيش بماض الإمبراطورية الرومانية العتيد، لذلك نراها تطمح، مدفوعة بأمجادها التاريخية، إلى بناء إمبراطورية تشبه روما القديمة التي حكمت حوض المتوسط حتى أصبح بحيرة رومانية، واسموه (Mare Nostrum) أي (بحيرتنا). وأصبحت سياسة جعل البحر المتوسط مجرد بحيرة إيطالية هي سياسة بنيتو موسوليني (Benito Mussolini) (١٨٨٣-١٩٤٥م)[2]، التي ألهبت مشاعر الإيطاليين عندما قال: "إذا ألقينا الإيطاليين كقوة وحيدة، وجعلنا من البحر المتوسط بحيرتنا، نكون حقاً قد بدأنا عهداً عظيماً في التاريخ الإيطالي" (Piazza, 2011, p. 101). وهكذا نرى بداية توجه الأنظار إلى منطقة حوض المتوسط بالخطابات السياسية للقادة الإيطاليين.

لقد أدى زحف الدول الأوروبية على سوريا ولبنان، وتقسيمها فيما بينها، إلى تشجيع إيطاليا على التوسع باتجاه تلك المناطق، وخاصة بعد فتح قناة السويس سنة ١٨٦٩م، إذ ظهرت الأطماع الفرنسية مبكراً في مصر فوجهت إليها الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨م، ثم وجهت أنظارها نحو سوريا ولبنان. كما ظهر الاهتمام البريطاني في بلاد الشام بافتتاحها أول قنصلية في القدس سنة ١٨٣٨م. لذلك كان التوجه الإيطالي نحو تلك المنطقة لإيمانها بأهميتها الإستراتيجية لمستقبلها الاستعماري. لقد كان النمو الإيطالي الاستعماري سريعاً. مما ولد تحركاً سياسياً وعسكرياً للضغط بقوة على الدول الأوروبية، وخاصة إنجلترا وفرنسا، اللتين تشاركان فعلياً فيما تطمح إليه إيطاليا، وكذلك حرص إيطاليا على المشاركة في هذه المكتسبات مستقبلاً (أنساباتو، 1980؛ Mazza, Rioli, Ancel, 2018). وهكذا بدأت إيطاليا تتوجه بخطوات عملية لتحقيق أهدافها الاستعمارية.

الوسائل التي اعتمدت عليها إيطاليا لتحقيق طموحاتها.

اعتمدت إيطاليا في سبيل تحقيق أهدافها على نشر دعايتها الاستعمارية كبديل عن الأنظمة الاستعمارية الأخرى، لذلك نراها تركز على عدة أنشطة منها؛ تشكيل المكتب الخاص بالدراسات والدعاية (Ufficio Studi e Propaganda) سنة ١٩٤٠م، والتابع لوزارة المستعمرات للإشراف على المؤسسات والمعاهد ذات الأهداف الاستعمارية، وكذلك الاشتراك في المعارض وتطوير المتاحف التي لها صلة بها، ونشر الدراسات والكتب الخاصة بالاستعمار. كما

استغلت الجمعية الثقافية دانتي إليغيري (Dante Alighieri) التي كانت تشرف على المدارس الإيطالية في الخارج، حيث أصبح نشر الثقافة الإيطالية في الخارج وسيلة مؤكدة للنفوذ الإيطالي الدائم والفعّال في تلك المناطق (Cresti e Mel-fa, 2003؛ Piazza, 2011).

أصدرت إيطاليا المجلات العلمية والدعائية التي تروج للاستعمار مثل؛ مجلة الجنوب (Sud) التي صدرت عام ١٩٣١م لدراسة المسائل والجوانب الاستعمارية، والمسائل والجوانب الفنية المقبلة للاستعمار الإيطالي في إفريقيا والشرق في عام؟؟؟ ، ومجلة حوليات إفريقيا – الإيطالية (Gli Annali Dell'Africa Italiana) التي صدرت عام ١٩٣١م، ومجلة المستعمرات (Rivista delle Colonie) التي صدرت عام ١٩٢٩م عن وزارة المستعمرات الإيطالية. وتعزيزاً لهذه الدعاية نظمت رحلات خاصة لزيارة سوريا ولبنان. كما أنشئت الكراسي العلمية في الجامعات الإيطالية، ونالت البعثات التبشيرية الدعم الكامل من الحكومة الإيطالية، والكرسي البابوي (Roux, 1960 ؛Palieri, 1926).

وهكذا تكونت قناعة لدى الإيطاليين بأن الاستعمار سيحل لإيطاليا مشاكلها، حيث قال موسوليني في مجلة شعب إيطاليا في كانون الثاني سنة ١٩١٩م: "إن الاستعمار هو القانون الخالد والثابت للحياة". وأكد على هذا المبدأ في مقالاته وخطبه العديدة، وفي سنة ١٩٢٣م، قال: "إن شعبنا محصور في شبه جزيرة مقدسة، ولكنها ضيقة، وهو محكوم عليه، لضرورات بشرية لا تقاوم، بالتوسع"، ورددت المجلة الفاشية في الأول من نيسان سنة ١٩٢٦م؛ بأن الشعب الإيطالي: "متعطش للعظمة ومُكره على حصر نفسه في حدودٍ ضيقةٍ" (Roux, 1960, pp. 107-110).

ومن هذا المنظور بدأت إيطاليا أطماعها في البلاد العربية الواقعة على البحر المتوسط، وخاصة سوريا ولبنان. مستغلة النمو الكبير في قدراتها العسكرية والفروق الحضارية الشاسعة مقارنة بالشرق. مما سمح لها بتقديم نفسها على أنها أقدر على تقديم قسط من الحضارة الحديثة لدول الشرق عوضاً عن بريطانيا وفرنسا التي تم استهلاكهما لدى هذه الشعوب. وبما أن مخططات إيطاليا الاستعمارية كانت واسعة وطموحة جداً، جاء هذا البحث ليتناول الأطماع الاستعمارية الإيطالية في سوريا ولبنان خلال الفترة منذ قيام الوحدة الإيطالية سنة ١٨٧٠م، وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥م (Servidio, 2002, p 87). وسيتم استعراض هذه الأطماع وفق عدة محاور هي:

أولاً: التحرك الإيطالي نحو سوريا ولبنان.

كانت سوريا ولبنان من ضمن مناطق بلاد الشام التي خضعت للسلطة العثمانية بعد معركة مرج دابق سنة ١٥١٦م. وهكذا أصبحت الدولة العثمانية أقوى الدول الإسلامية، وقد خافت أوروبا من القوة الإسلامية الجديدة فقامت تقاتلها في كل مكان، وتعمل على تجزئتها وتدعم كل حركة تقوم فيها. كما أخذت على عاتقها استغلال كل ظرف للتغلغل إلى داخل الدولة العثمانية من أجل تمزيقها. مما أوجد لها قناصل لتحقيق امتيازات خاصة لدى الدولة العثمانية. وكان الإيطاليون من أعرق الأمم الأوروبية التي اتصلت بسوريا ولبنان، اتصالاً وثيقاً ومنوعاً. ومنذ القرن السادس عشر، كان العديد من مدن سوريا ولبنان تحتوي على قناصل وممثلين تجاريين للمدن الإيطالية، بهدف الإبقاء على أبواب تجارتهم مفتوحة، فضلاً عن وجود جاليات إيطالية تقيم في أماكن خاصة بها. وقد تولت جمهورية البندقية في أيام ازدهارها تمويل تعليم اللغات الشرقية لتجارها بعد أن احتكرت نقل التجارة من سواحل الشام لأوروبا. وكان تعامل السكان الشاميين بعملة البندقية "الدوكات" (Ducat) دليل على استئثار المدن الإيطالية دون غيرها، بأسواق الشرق (ياغي، 1418هـ/1997؛ Carpi, 1874).

وقد وقعت مدينة جنوة الإيطالية مع الدولة العثمانية اتفاقيتين في سنة ١٨٢٣م، وسنة ١٨٢٥م بهدف الحصول على الامتيازات. كما احتكر الإيطاليون في هذه الفترة حياكة الحرير وتجارته في دمشق وبيروت. وبعد أن فقدت هذه الجمهوريات أهميتها التجارية بقيت اللغة الإيطالية هي الأكثر انتشاراً في المدن المشرقية بين سائر اللغات الأوروبية حتى منتصف القرن التاسع عشر (ياغي، 1418هـ/1997؛ Carpi, 1874).

مع بدء حركة الوحدة الإيطالية، أخذ ساستها ومفكروها يضعون أسس التحرك الاستعماري على أساس بعث الإمبراطورية الرومانية في حوض المتوسط. كما أكد مفكرها ستيفانو ريفالورا (Stefano Rivalora) (١٧٠٠-١٨٢٧م)، بقوله: "إن موقع إيطاليا الجديد في أوروبا غير قابل للحياة من دون توسع اقتصادها نحو الشرق" (Servidio, 2002, p.153). وهكذا نشطت حركة التوسع الإيطالي نحو الشرق ممثلة بسوريا ولبنان.

ثانياً: عزم إيطاليا التدخل في الحرب اللبنانية سنة ١٨٦٠م.

كانت لبنان من ضمن مناطق بلاد الشام التي خضعت للسلطة العثمانية سنة ١٥١٦م. في وقت كانت فيه الدولة العثمانية أقوى الدول الإسلامية. مما جعلها تتقدم بقواتها داخل أوروبا محرزة العديد من الانتصارات حتى حاصرت فيينا عدة مرات. مما دفع الدول الأوروبية لمقاومة القوة الصاعدة، متخذة أية وسيلة في سبيل إضعافها، لذلك قامت تؤجج الطائفية في الشام، وتمد يدها للنصارى في جبال لبنان، وتؤسس المدارس لهم حتى قوي أمرهم. وفي سنة ١٨٣١م توجه محمد علي باشا (١٧٦٩-١٨٤٩م) حاكم مصر مع قواته إلى بلاد الشام وسيطر عليها، ومن ضمنها ولاية بيروت، وأصبح على الحدود المباشرة للدولة العثمانية. مما دفع الدول الأوروبية إلى الضغط عليه للخروج من بلاد الشام، منعاً لتوسيع نفوذه على حساب الدولة العثمانية، وحسب مقررات معاهدة لندن سنة ١٨٤٠م تم جلاء قوات محمد علي عن بلاد الشام. مما ترك البلاد في حالة فوضى سياسية وأمنية، وخاصة في ولاية بيروت (ياغي، ١٤١٨هـ/١٩٩٧، ص ص ٨٩-١٠١).

حيث أدت هذه الفوضى إلى حدوث تصادم بين الطائفتين المارونية والدرزية في جبل لبنان[٥]، الذي كان مقسماً إلى؛ القائمقامية الشمالية ويحكمها المارون، والقائمقامية الجنوبية ويحكمها الدروز، والتي ما لبثت أن تحولت الصدامات فيها إلى صراع متفانٍ أُرتِكبت فيه المجازر وعمليات التهجير بين سنة ١٨٤٥ إلى سنة ١٨٦٠م (Charles, Edward, Condé, Thomas, John, 1905, pp 386-389).

كانت الدولة البابوية، وعلى رأسها بابا الفاتيكان - ممثل الكرسي الرسولي والكنيسة الكاثوليكية - في خلاف مع إيطاليا التي ترغب بضم مدينة روما العائدة لأملاك الدولة البابوية إليها، أثناء عملية التوحيد، حيث أدت هذه التحركات إلى إضعاف قوة البابا. الأمر الذي جعل الكنيسة الفرنسية تفرض حمايتها على كافة الكنائس الكاثوليكية في المشرق، وخاصة في سوريا ولبنان (Charles, et al., 1905, p 301).

وعندما اندلعت الحرب الطائفية بين الدروز والموارنة في لبنان - ووصلت أصداؤها إلى أوروبا - أظهرت إيطاليا حماسها للتدخل في الحرب اللبنانية، وخاصة بعد أن انتشرت وقائعها على صفحات الجرائد الإيطالية عن طريق الأب باول-ماري ريكاردونا (Paul-Marie Riccadonna) (١٧٩٩-١٨٦٣م) رئيس دير زحلة، والذي ناشد الرأي العام للتدخل لوقف الاعتداءات على المسيحيين في جبل لبنان. كما كثرت مراسلات الآباء الكاثوليك في الأديرة اللبنانية والسورية إلى المراجع الدينية العليا في روما طالبين منهم التدخل لمساعدة المنكوبين هناك (بار، ٢٠١٥، ص ٩٣).

وقد وجد قناصل إيطاليا في بلاد الشام أن هذا التعاطف يفقد فرنسا مبررات حمايتها للكاثوليك في هذه المنطقة، وبالتالي فإن من الطبيعي أن تخضع كل المؤسسات الدينية المسيحية الأجنبية والمحلية إلى الحماية الإيطالية، كونها صاحبة الحماية على الكرسي الرسولي. حيث قام رئيس الوزراء الإيطالي الكونت كاميليو دي كافور (Camillo Conte di Cavour) (١٨١٠-١٨٦١م) بإرسال رسالة مع مبعوثه الخاص ماكسيم دي أزيليو (Massimo D'Azeglio) (١٧٩٨-١٨٦٦م) إلى الدول الأوروبية بتاريخ ٣١ آب سنة ١٨٦٠م يطلب منها وضع حد نهائي لحوادث ١٨٦٠م (نوار ونعنعي، ١٩٧٣، ص ٤١٩).

وقد برّر ذلك وزيرا الخارجية الإيطاليان أوربان راتيسي (Urbano Rattazzi) (١٨٠٨-١٨٧٣م)، وبتينو روكاسول (Bettino Ricasoli) (١٨٠٩-١٨٨٠م)، في الفترة (١٨٦١-١٨٦٢م) بقولهما: "إن اندفاع إيطاليا إلى هذه المنطقة، بحجة ما كان لها من مصالح تجارية أكثر أهمية مما لبريطانيا والنمسا وفرنسا"، وطالبا بمشاركة بلدهما في مؤتمر القسطنطينية بشأن تعويضات ضحايا حوادث جبل لبنان سنة ١٨٦٠م (محارتي وآخرون، ٢٠١٣، ص ص ١٠١-١٠٤).

ويندرج إلحاح إيطاليا على المشاركة في أحداث جبل لبنان ضمن السياق العام لتطلعاتها التوسعية الاستعمارية. فقد طالب الزعيم جوزيبي ماتزيني (Giuseppe Mazzini) (١٨٠٥-١٨٧٢م) بمكانة لإيطاليا في آسيا كونها مؤهلة لدور عالمي وروحي (Palieri, 1926, p 107).

فيما شدد الصحفي ليون كابري (Leone Carpi) (١٨١٠-١٨٩٨م) في كتابه المستعمرات والهجرات الإيطالية في الخارج: "يجب أن تستفيد إيطاليا من مهاجريها في الخارج، وخاصة أنها تمتلك (٥٠٠) ألف مهاجر حول العالم، جلهم في الشرق الأوسط" (Carpi, 1874, pp. 201- 202)، لهذا انطلقت حججها في الدفاع عن المواطنين الإيطاليين وتنمية التجارة والملاحة البحرية. كما طالبت بحقوقها في حماية الإرساليات الكاثوليكية من مواطنيها مستغلة أية فرصة للتدخل في شؤون الشرق الموجودة تحت يد الدولة العثمانية (Servidio, 2002, p 120).

كانت محاولة إيطاليا للدخول إلى ميدان الاستعمار في الشرق متأخرة. مما جعلها تصطدم بمواقع استعمارية ثابتة لفرنسا وبريطانيا، وكذلك بمخططات مناهضة لأطماعها في الوطن العربي. مما جعل الحكومة الإيطالية تعمل على خلق مناخ مناسب يتقبل وجودها المستقبلي قبل البدء بمرحلة الغزو المباشر. وهكذا بدأت إيطاليا بتحسين علاقتها مع الفاتيكان بشكل جعلت البابا يساعد الإيطاليين في تبني الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية بشكل رسمي (Carpi, 1874, pp. 289-290). مما أدى إلى سحب البساط من تحت أقدام الفرنسيين.

وهكذا نشطت إيطاليا عن طريق قنصلها ليكورغو ماتشو (Licurgo Maccio) (١٨٢٦-١٩٠٥م)، والمبعوث البابوي لويجي بيافي (Luigi Piavi) (١٨٣٣-١٩٠٥م). وهما اللذان عملا على تقوية النفوذ الإيطالي على حساب الفرنسيين مستغلين صداقتهما مع المطران بطرس البستاني (١٨١٩-١٨٨٣م) رئيس أساقفة صيدا، والمطران يوسف الدبس (١٨٣٣-١٩٠٧م) رئيس أساقفة بيروت، لمناوئة النفوذ الفرنسي في لبنان، وفرض الوجود الإيطالي حتى شاع بين رجال الدين الكاثوليك والمؤسسات الدينية الغربية عن قرب انضوائهم تحت الحماية الإيطالية (الجابري والجبوري، ٢٠١٥، ص ص ٢٧٥-٢٧٩).

في حزيران سنة ١٨٦١م تم توقيع بروتوكول لبنان الذي أقر تأسيس متصرفية جبل لبنان، وقد جعل هذا النظام جبل لبنان منفصلاً من الناحية الإدارية عن باقي سوريا ولبنان، وضمن حكما ذاتيا تحت قيادة متصرف أجنبي مسيحي عثماني، غير تركي، وغير لبناني، يتم تعينه من قبل الدولة العثمانية، وبموافقة الدول الأوروبية. وقد أنهى هذا النظام الصراع بين سكان جبل لبنان من المسيحيين والدروز، وبإشراف الدولة العثمانية، وبرقابة من الدول الأوروبية التي تمكنت وفق هذه الاتفاقية من التدخل المباشر في شؤون لبنان (شعيب، ٢٠٠٢، ص ٦٨).

وبالنسبة لإيطاليا فقد شاركت سنة ١٨٦١م بعدد من ضباط الجيش في تنظيم القوة العسكرية اللبنانية التي تم تأسيسها على أنقاض قوات الدرك العثمانية. ثم توالت الاهتمامات الإيطالية في لبنان حتى باتوا يشغلون غالبية المراكز الكهنوتية الهامة في لبنان، وعموم السلطنة العثمانية. وفي الفترة (١٨٦٠-١٨٦١م) بلغت المساعدات الإيطالية المقدمة إلى الطوائف الكاثوليكية الشرقية، ستة آلاف فرنك؛ منها ألفان كرواتب لمعلمي اللغة الإيطالية (عيسى، ١٩٩٨، ص ٤٢٥).

تأكدت التدخلات الإيطالية في لبنان بعد توقيع بروتوكول الآستانة سنة ١٨٦٤م والذي مكّن إيطاليا من المشاركة في حقوق المراقبة في القضية اللبنانية. حيث تأكد نفوذها بالضغط لتعيين فرانكو نصري باشا الحلبي، كحاكم لجبل لبنان في الفترة (١٨٦٨-١٨٧٣م)، وفرضت بعده رأيها لتعيين رستم باشا ذي الأصول الإيطالية كمتصرف لجبل لبنان في الفترة (١٨٧٣-١٨٨٣م). وقد نشطت البعثات الإيطالية في لبنان حتى احتل رجالها مراكز هامة داخل المؤسسات الكاثوليكية، فأشرفوا على راهبات دير قلب يسوع في بلدة زحلة البالغ عددهن (٣٨) راهبة. وفي سنة ١٨٦٥م بلغ عدد مدارس الراهبات الإيطالية في سهل البقاع اللبناني (١٨) مدرسة يؤمها (٢٤٢٥) تلميذة. وبعد سنة ١٨٧٠م تمكنت إيطاليا من احتلال موقعاً متقدماً لدى كاثوليك الشرق عندما ضمت إليها بالقوة أراضي البابوية إلى سيطرتها. مما جعل البابا ودولته تحت نفوذها (Carpi, ١٨٧٤, p ٣٨٢).

في نيسان سنة ١٨٧١م أقام القنصل الإيطالي صفوفاً لتعليم اللغة الإيطالية في مدارس بطريركية الروم الكاثوليك، وأصبح لزاماً على إيطاليا جعل لغتها هي لغة التدريس الأساسية في كافة المؤسسات الكاثوليكية. وقد عبر القنصل عن أمله بإحلال اللغة الإيطالية مكان اللغة الفرنسية خلال عشر سنوات، ثم أصدر أوامره للرهبان الفرنسيسكان في الأراضي المقدسة وبيروت، لتبليغ رجال الدين الكاثوليك، والمؤسسات الدينية الفرنسية عن انضوائهم قريباً تحت الحماية الإيطالية (Charles, et al., 1905, p 289).

واجهت القنصلية الفرنسية في بيروت الخطر الإيطالي، وبدأت اتصالاتها برجال الدين الموارنة والكاثوليك، ووجهت اللوم لهم، وهددتهم برفع الحماية الفرنسية. إلا أن بعضهم رأى في المساعدات الإيطالية أفضل وسيلة لتحقيق طموحاتهم، لاسيَّما وأنهم اعتقدوا ان السياسة الفرنسية تدهورت بعد سنة ١٨٧٠م، وسارت وراء السياسة البريطانية التي كانت تتبنى الإرسالية البروتستانتية. ووقف على رأس هؤلاء المطرانان الدبس والبستاني اللذان كانا يريان أن الفرصة مؤاتيه للتخلص من هيمنة المؤسسات الفرنسية في جبل لبنان، مما يسهل تعيين حاكم وطني هناك (عيسى، ١٩٩٨، ص ص ٤١١-٤٥٩).

تراجع النفوذ الإيطالي أمام الضغط الفرنسي في لبنان. مما جعل وزير الخارجية الإيطالي بنديتو كايرولي (Benedetto Cairoli) (١٨٢٥-١٨٨٩م) يبعث ببرقية إلى حكومته، قال فيها: "لم يبق للإيطاليين في بيروت سوى مدرسة مهمشة تقريباً. لم تستطيع أن تحتل أي مستوى كغيرها من المدارس في المدينة". وبالرغم من عزم رئيس الوزراء الإيطالي فرانشيسكو كرسبي (Francesco Crispi) (١٨١٩–١٩٠١) سنة ١٨٨٧م على الولوج في لبنان ثقافياً، إلا أن تضحياته التي بذلها لم تعط أية نتيجة. مما جعله يتخلى عن مخططاته، باستثناء الإبقاء على بعض المؤسسات التربوية في بيروت، وهكذا كانت هناك مقاومة كبيرة في مواجهة تغلغل النفوذ الإيطالي (Mazza, et al., 2018, p. 108).

وقد نالت إيطاليا الحظوة في السلطة العثمانية منذ تولي إبراهيم حقي باشا (١٨٣٦-١٩١٨م) سفارة بلاده في روما سنة ١٨٩٠م، واستمرت عند تسلمه الصدارة العظمى في الفترة (١٩١٠-١٩١١م). لذلك نرى إيطاليا تكلف المستشرق كارلو نلينو بتطبيق قرارها المتعلق بتعليم اللغة العربية في المعاهد الإيطالية. كما نرى تعيين البابا لمبعوثين بابويين في بيروت والقدس من أصل إيطالي. وفي سنة ١٨٩٤م أسست إيطاليا مدرسة تجارية في بيروت لنشر اللغة الإيطالية والتعريف بالمنتوجات الإيطالية. وهكذا عادت المدارس الإيطالية إلى منافسة المدارس الفرنسية حتى سنة ١٨٩٦م. وعندما واجهت إيطاليا صعوبات في المجتمع اللبناني بسبب المشاكل الطائفية. أخذت تتطلع نحو سوريا (Piazza, 2011, pp 108-112).

ثالثاً: التوجه الإيطالي نحو تحقيق مزيد من الأطماع في سوريا.

بعد خروج جيش محمد علي باشا من بلاد الشام سنة ١٨٤٠م دخلت منطقتا سوريا وجبل لبنان في فوضى انتقال السلطة. حيث كانت سوريا وقتها مقسمة إلى؛ ولاية بيروت في جبل لبنان، وولايتي حلب ودمشق في سوريا. وعلى إثر تلك الفوضى بدأت إيطاليا تتدخل في البعثات الإرسالية في دمشق. حيث قام المطران مكاريوس حداد أسقف المطرانية الكاثوليكية في دمشق في الفترة (١٨٥٢-١٨٧٦م)، والمدعوم من فرنسا، بقبول الدعم المقدم من القنصل الإيطالي سنة ١٨٧١م، بهدف تعليم اللغة الإيطالية في مدارس المطرانية، بالإضافة إلى جوائز بقيمة ثمانمائة فرنك كمنح للطلاب نهاية العام الدراسي، وتندرج هذه التقديمات في إطار السعي لجعل المدارس الكاثوليكية السورية تحت إشراف القنصلية الإيطالية على غرار مدرستي غزير وعينطوره بالنسبة لإشراف القنصلية الفرنسية. وقد حظي المسعى بالنجاح إذ تلقى الطلاب شهادات تخرجهم صادرة من وزارة التعليم الإيطالية. واستطاع القنصل فرض مدرسين للغة الإيطالية في مدارس الأرض المقدسة في دمشق وحلب. وقد ازدهر النشاط التبشيري في مجال التعليم، فأنشئت المدارس التبشيرية في حلب وزحلة، وتأسست الكلية السورية البروتستانتية التي أصبحت فيما بعد الجامعة الأمريكية. كما أنشئت البعثة اليسوعية جامعة القديس يوسف سنة ١٨٧٤م (زين، ١٩٧٧، ص ٥١).

منذ مطلع القرن التاسع عشر بدأت إيطاليا تكثف دعايتها لتحسين صورتها كدولة تهتم بالعرب والإسلام، وروحهم الدينية، لذلك نجدها قد حرصت على فهم الدين الإسلامي، والظهور بمظهر الغيورين على الأديان الأخرى. حيث يذكر المستشرق الإيطالي أنساباتو في جريدة النادي[٣] سنة ١٩٠٤م: "أن مسجد أمبرتو[٤] (بالقاهرة) وحده يكفي أن يصبغ على إيطاليا صفة الدولة التي تعطف على الإسلام، وسيكون لها وحدها النفوذ في الشرق الإسلامي، وستكسب أكثر عن طريق الخير، ما لم تكسبه الدول الأخرى بالعنف والكذب" (أنساباتو، ١٩٨٠، ص ٣٩). وهو ما يبرر توجه إيطاليا للاستعمار الثقافي، والسير على خطى البعثات التبشيرية للفاتيكان. مما زاد الفجوة بين فرنسا والفاتيكان، وصلت إلى حد قطع العلاقات الدبلوماسية بينهما سنة ١٩٠٥م. وفي ٢٦ أيار سنة ١٩٠٦م ولدت المؤسسة الاستعمارية الإيطالية في الشرق. مما زاد النشاط الإيطالي في سوريا ولبنان، وقام القنصل الإيطالي بدمشق برفع العلم الإيطالي على الكنيسة الكرملية في الإسكندرون سنة ١٩١١م. وأصبح التعليم في مدرستها باللغة الإيطالية (Mazza, et al., 2018, p 115).

قام المبعوث الرسولي فريديانو جياني (Frediano Giannini) (١٨٦١-١٩٣٩م)، وهو إيطالي، بتأسيس العديد من المدارس الايطالية في لبنان سنة ١٩١٢م، وفي دمشق شجع جياني إرسال بعثة للرهبان الإيطاليين من أجل تأسيس مدرسة الصبيان سنة ١٩١٣م، حيث كان معظم طلابها من أبناء الجالية الإيطالية. كما أنشأت بعثة الراهبات الإيطاليات مدرسة للبنات، وتولت إدارة مستشفى من عشرين سريراً (الجابري والجبوري، ٢٠١٥، ص ص ٣٨٠-٣٨٤).

أصبحت إيطاليا مساهما رئيسا في تجارتها مع الشام، وكانت أساطيلها تحتل مكانة بارزة. كما كانت روما على قناعة بنجاح نشاطها الاستعماري في

المنطقة بفضل البعثات التبشيرية الكاثوليكية المدعومة من البابا. ولكن احتلال إيطاليا لليبيا سنة ١٩١١م جعلها تغير من سياستها. إذ قام أسطولها بقصف مرفأ بيروت، وأوقع أضراراً في السفن الراسية فيه، وفي البنك العثماني المجاور له. كما طال التهديد موانئ طرابلس وصيدا. وكانت الحجة الإيطالية لتبرير الهجوم، هو الحيلولة دون انتقال مؤن الجيش العثماني إلى طرابلس الغرب من هذه الموانئ (بازامه، ١٩٦٥، ص ٧٧).

رابعاً: المطالب الإيطالية بالانتداب على سوريا ولبنان كبديل للفرنسيين.

بقيت سوريا خاضعة للسلطة العثمانية منذ سنة ١٥١٦م، وحتى انتهاء الحرب العالمية الأولى حيث تمكنت الدول الأوروبية من التفاهم سراً على تقسيم بلاد الشام فيما بينها. فكانت بلاد الشام الشمالية في سوريا ولبنان من نصيب فرنسا وفق اتفاقية سايكس-بيكو سنة ١٩١٦م، وهو ما جعل إيطاليا تفكر في تحويل هذا الانتداب من فرنسا لها (محافظة، ١٩٨٥، ص ٣٨٩).

بعدما حُرمت إيطاليا من المكاسب التي كانت تخطط لها في سوريا ولبنان، وتم تقسيمها بين بريطانيا وفرنسا، دفعت روما إلى زيادة نشاط عناصرها التوسعية، فعقدوا مؤتمراً في نفس السنة، بإشراف المعهد الاستعماري أدى إلى حدوث تعبئة عامة في إيطاليا، حيث أخذت الصحف تحث على مزيد من المستعمرات. إلا أن الساسة الإيطاليين اختصروا مكاسب بلادهم في نطاق ما تقدمه مؤسساتها الدينية، واكتفوا بالحصول على امتيازات اقتصادية. حيث افتتحت حكومة إيطاليا فرعاً لبنك دي روما في بيروت سنة ١٩١٩م، وتبعته بفروع أخرى في دمشق وحلب وطرابلس الشام. كما أسست شركتين للخطوط البحرية، هما؛ شركة لويد تريستينو (Lloyd Triestino) للملاحة، والشركة الإيطالية للملاحة البحرية (Palieri, 1926, pp 125-129).

وبعد أن طلب الأمير فيصل بن الحسين (١٨٨٣-١٩٣٣م) إشراك إيطاليا في لجنة التحقيق التي اقترحها للوقوف على رغبات الرأي العام في بلاد الشام. رفضت الدول الكبرى ذلك، وسعت إلى تهميش دور روما التي لم تبد أي رأي في مسألة تجزئة المشرق العربي، باستثناء التحفظات على الأماكن المقدسة في فلسطين. والتذكير بالعلاقات التاريخية التي تربطها بالعالم الإسلامي، وكل ذلك لكي تبرر أطماعها بالمنطقة العربية. واكتفت إيطاليا بإرسال برقية للأمير فيصل تعترف بحكومته وتبلغه بأنها ستوفد سفيراً لها إلى دمشق (الجمل وإبراهيم، ٢٠٠٠، ص ص ٢١٨-٢٢٣).

وعشية معركة ميسلون سنة ١٩٢٠م أبدت إيطاليا تعاطفاً مع الحكومة العربية في دمشق، حيث استجابت لطلب الأمير فيصل باستخدام نفوذها لمنع نشوب الحرب التي لا تعود على سوريا بغير الخراب والدمار. إلا أن ذلك لم ينجح. وبعد أن أطاح الفرنسيون بالحكم العربي في دمشق وجهت إيطاليا نصيحة للأمير فيصل بعدم مغادرة المدينة تبريراً لموقفه وتقوية لمركزه، لكنه ما لبث أن غادر إلى إيطاليا بعدما طلبت منه المفوضية الفرنسية ذلك. وهكذا خضعت سوريا ولبنان للانتداب الفرنسي (بار، ٢٠١٥، ص ٩٧).

كانت المحصلة العامة لنتائج الحرب العالمية الأولى شعور الإيطاليين بالمرارة، لأن بلادهم مغبونة لحرمانها من مكاسب النصر، وبدأت روما تطلق الشائعات بتعرضها للاحتيال عليها في سلب مناطق نفوذها في الشرق. وعندما تولى موسوليني السلطة في إيطاليا انتعشت أطروحاته الفاشية، باستغلال مرارة الإيطاليين وتطلعاتهم، فأعلن: "أن معاهدات الصلح ليست أبدية، ويجب إعادة النظر فيها في اليوم الذي يظهر أنها لا تتمشى مع الحقائق". وبدأت الفاشية تتطلع لتحقيق طموحاتها الاستعمارية نحو الشرق في فترة مبكرة. إذ أعلن موسوليني في شباط سنة ١٩٢٤م: "لا تستطيع إيطاليا إلا أن تتوجه نحو الشرق، ففي العرب توجد تشكيلات قومية كاملة نستطيع أن نمد أيدينا إليها، بعد أن كان الأمر ممنوعاً علينا في يوم ما"، لذلك قام بتوسيع نشاط المعهد الاستعماري خارج إيطاليا، وأصبح له فروع كثيرة في عدة مناطق من الوطن العربي (Roux, 1960, p. 127).

وبعد افتتاح رابطة الشعوب الإسلامية فرعاً لها في روما. اتخذت السياسة الإعلامية الإيطالية مساراً يؤكد على الصداقة الإيطالية-الإسلامية في محاولة لكسب عواطف العرب، حيث أصدرت الرابطة عدة مؤلفات، منها: كتاباً بعنوان "السياسة الإيطالية فيما وراء البحار"، للصحفي ماريو باسيي (Mario Bassi) (١٨٨٦م-...). كما أصدرت كتاباً لروبرتو كانتالوبو (Roberto Cantalupo) (١٨٩١-١٩٧٥م) بعنوان "إيطاليا المسلمة" دافع فيه عن التوسع الإيطالي داخل المجتمعات العربية. كما اندفعت الصحف الإيطالية نحو التعاطف مع الحركات الوطنية العربية بهدف زعزعة ثقة العرب بحلفائهم البريطانيين والفرنسيين. ومن ثم كسب ثقة العرب تمهيداً لإيقاعهم مع شركائهم وبالتالي الترحيب بالنفوذ الإيطالي في بلادهم (محارتي وآخرون، ٢٠١٣، ص ١٠٧).

وفي مطلع آذار سنة ١٩٢٤م نشرت جريدة الديلي تلغراف اللندنية رسالة تقول فيها: "الدعاية الإيطالية في كل مكان. إن الإنسان يرى آثار الدعاية الإيطالية في كل مكان من الشرق الأدنى، وفي مقدمتها إذاعات الراديو العربية التي تبث من إيطاليا". وتستطرد الصحيفة قائلة: "ونرى الدعاية الإيطالية في المستشفيات والمدارس، وفي تنظيم الرحلات إلى إيطاليا وفي دور السينما". ومن الوجهة الدينية قالت الرسالة: "إن إيطاليا عرفت أثر الدين في نفوس المسلمين خاصة، فهي تظهر الورع الشديد من هذه الجهة، وترسل القوافل من الحبشة والمستعمرات الإيطالية بالألوف إلى مكة كي يؤدوا فريضة الحج" (Piras, 2011, p. 125).

لقد ولد مناخ التوجه الإيطالي السلمي داخل المجتمعات العربية تجاوباً إيجابياً عند القيادات العربية والإسلامية. مما سهل قيام جسور اتصال مبكرة بين الطرفين، وكان انعقاد مؤتمر شعوب الشرق في مدينة جنوة في أيار سنة ١٩٢٢م، مناسبة لإيصال وجهة النظر العربية للرأي العام الإيطالي ولقواه السياسية. وقد مثل بلاد الشام لجنة مفوضة عن المؤتمر السوري-الفلسطيني[1] مكونة من عدة شخصيات؛ يرأسهم شكيب أرسلان (١٨٦٩-١٩٤٦م). وقد رفعت اللجنة مذكرة تطالب برفض الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان. كما استصدرت تصريحاً من الساسة الإيطاليين يستنكر الممارسات الفرنسية، ويعارض فرض الانتداب. وعبرت اللجنة عن استيائها بالقول: "أن سلطة الاحتلال لا تستطيع الاتكال على العنصر المسيحي، لاستبعاد اخوانه المسلمين، إذ لم يكن خط الدين الاعتبار الأول في جميع الوقائع التي يعرفها تاريخ سوريا ولبنان، إن تظاهرات الولاء للفرنسيين التي دبرتها المفوضية العليا، وتوزيع الأسلحة على بعض القرى، وتنظيم العصابات ضد المسلمين، والتعسفات الأخرى التي ارتكبتها السلطة المحلية قد خلقت حالة مخفية غير طبيعية" (زين، ١٩٧٧، ص ٦١).

وهكذا أظهرت إيطاليا دعمها للقضايا العربية. مما خلق شعوراً لدى العرب بأن سياسة إيطاليا أصبحت إلى جانبهم، ووجدت بموسوليني حليفاً يمكنهم من تغيير الأحداث لصالحهم. وكان عدد من الموظفين القدماء والضباط العرب في الإدارة العثمانية قد رفضوا العودة إلى أوطانهم والعيش تحت سلطة الفرنسية الانتداب. وبدأ السكان العرب يطالبون موسوليني بتأسيس تشكيلات فاشية في مناطقهم، حيث وصل إلى لبنان في أواخر سنة ١٩٢٢م، ضابط سابق في الجيش الإيطالي يدعى برينو أوغسطين (Bruno Agostino) بحجة العمل بتجارة الأخشاب، وبسرعة حول المركز الإيطالي إلى مقر للفاشية سنة ١٩٢٣م، وأسس أول منظمة فاشية في بيروت. كما نظم الجالية الإيطالية على أسس فاشية، حيث بدأت هذه المراكز بتوزيع نشرات مطبوعة على بعض الصحف تُقدم موسوليني (كحامٍ للإسلام) بعد زيارته لليبيا، حيث تسلم الزعيم الفاشي درع الإسلام من بعض شيوخ القبائل العربية الذين توافدوا من عدة بلدان عربية خصيصاً من أجل الزيارة. حيث تزامن معها ولادة مؤسسة كايتاني للدراسات الإسلامية في روما بهدف إنشاء مراكز ثقافية للشرق الأدنى (بازامه، ١٩٦٥، ص ص ٧٩-٨٢).

ومع ذلك ظلت الفرصة قليلة أمام الإيطاليين للتغلغل في البلدان العربية، وخاصة بعد التنكيل الإيطالي في ليبيا، مما نفّر شعوب البلدان العربية من مسألة التغلغل الفاشي في البلاد العربية. إلا أن هذا النفور سرعان ما تم تخطيه من منطلق اعتماد الواقع السياسي، فالقوى الوطنية العربية كانت على استعداد للتعاون مع أية قوة تخرجها من هيمنة الاستعمار الفرنسي-البريطاني في سبيل تحقيق الاستقلال والسيادة الوطنية. حيث وجدوا في اطروحات موسوليني العلنية المعادية للاستعمار قاسماً مشتركاً مع تطلعاتهم التحررية. وهو مما دفع بموسوليني للمجاهرة بطلب انتداب بلاده على سوريا. وفي أيلول سنة ١٩٢٥م قام سفيرا إيطاليا؛ في لندن وباريس بمساعٍ حثيثة لدى حكومتي البلدين لتأكيد حقوق إيطاليا في لبنان وسوريا، والمطالبة بإعادة توزيع الانتدابات بحيث تحصل إيطاليا على نصيبها. وحصل السفيران على تأكيدات من الحكومتين المذكورتين باعترافهما بهذه الحقوق (محافظة، ١٩٨٥، ص ٤٢٢).

تعمد موسوليني استغلال أية مناسبة ليظهر كمدافع عن سوريا ولبنان المظلومتين من قبل أمم أخرى. وخلال نشوب الثورة السورية سنة ١٩٢٦م أرسلت روما طرادا من نوع (Torpediniera) للرسو في بيروت بهدف إفهام فرنسا، عجزها عن حماية أمن الرعايا الأجانب، وتحسباً لأسوأ الاحتمالات. وشارك الفاتيكان الحكومة الفاشية في مواقفهم إذ اعتبر أن الفرنسيين ليسوا بمستوى يمكنهم من تأمين حماية فعالة للأقليات المسيحية في الشرق. وهو ما دفع موسوليني للمطالبة بالانتداب الإيطالي على البلاد السورية كمدى حيوي للشعب الإيطالي. ولكن باريس اعتبرت التصرف الإيطالي بدون أي خلفية سياسية، وأنه يهدف

لتقديم العون للسوريين، لذلك أكدت عزمها على حماية كل الرعايا الأجانب، وبعد مداخلات عده تم سحب الطراد (Roux, 1960, p 97).

وفي تشرين الأول ١٩٢٦م جرت محادثات بين موسوليني ووزير خارجية فرنسا بشأن نقل الانتداب الفرنسي على سوريا إلى إيطاليا. ولكن جريدة الديلي تلغراف نشرت تصريحاً لرئيس وزراء فرنسا ريمون بوانكارية (Raymond Poincaré) (١٨٦٠-١٩٣٤م) أشار فيه إلى بلد ذي اتجاهات إمبريالية يريد احتلال مكان فرنسا في سوريا. لكنه أكد أن حكومته لن تتخلى نهائياً عن انتدابها (بار، ٢٠١٥، ص ١٠١). وأمام سكوت الحلفاء عن الادعاءات الايطالية في بلاد الشام، وصل الاعتقاد عند الإيطاليين إلى أن مسألة انتدابهم على سوريا مرتبطة بإجراءات روتينية مع فرنسا. وكان الاعتقاد نفسه عند الغرف التجارية الفرنسية، والتي رفعت مذكرات إلى وزارة خارجيتها تعارض فيها تخلي فرنسا عن انتدابها لسوريا (محارتي وآخرون، ٢٠١٣، ص ١١٠).

إلا أن هذه الحادثة لم تمنع الصحف الإيطالية من إظهار فشل فرنسا، وعدم قدرتها على الاستمرار في الانتداب. وأشارت جريدة الشرق الإيطالية إلى: "أن السوريين تلقوا قذائف أكثر من الفرنكات، وإنهم مستغلون أكثر من كونهم مساعدين". أما صحيفة الغارديان البريطانية فقد كشفت عن: "تواتر إشاعات في الشرق الأوسط، بأن الفرنسيين سيغادرون سوريا" (Servidio, 2002, p. 122). كما توالت الشائعات في الصحف العربية والغربية عن قرب نقل الانتداب على سوريا من فرنسا إلى إيطاليا. وفي ١٥ شباط ١٩٢٦م أشارت وكالة تلغراف فلسطين إلى اجتماع عقد في روما بناء على طلب موسوليني. والذي أظهر اهتمام إيطاليا بسوريا وأوضاعها، وبمدى قيام معارضة محتملة للانتداب الفرنسي فيها. كما جرى التلميح إلى أن إيطاليا ستكون جاهزة لقبول مسؤولية الانتداب بالشروط نفسها التي كانت لفرنسا. وهناك شائعات غير مؤكدة في روما تقول بأن قسماً مهماً من أعضاء عصبة الأمم مؤيد لقرار قبول إيطاليا بالانتداب على سوريا (شعيب، ٢٠٠٢، ص ٧١).

أدت هذه الأخبار إلى ازدياد دخول الدعاة الفاشيين إلى بلدان المشرق، وكلف موسوليني سنة ١٩٢٨م القنصل الإيطالي ببيروت أتيليو دي تشيكو (Attilio De Cicco) (١٨٩٤-١٩٥٧م) بالإشراف على تنظيم الأعمال الدعائية والنشاطات الفاشية في لبنان. أما في سوريا فقد عمل المستشفى الإيطالي بدمشق دوراً هاماً للدعاية الفاشية، فقد كان يقدم الخدمات الطبية مجاناً للفقراء، وفي حلب حولت الفاشية مدرسة الأراضي المقدسة، وجعلتها أداة فعالة لدعايتها. كما تم تأسيس حزباً فاشيا هدفه تهيئة الرأي العام المحلي لقبول انتداب إيطاليا على سوريا. وقد وصلت القناعة عند الإيطاليين بمسألة الانتداب أن برلمانهم عقد جلسة لمناقشة الانتداب الفرنسي في سوريا حيث أعلن النائب لويجي فيرا (Luigi Fera) (١٨٦٨-١٩٣٥م) في ٢٢ أيار سنة ١٩٢٨م: "من أجل السوريين والموارنة سيتم ولادة دولتين مستقلتين واحدة عربية في سوريا وعاصمتها دمشق، والأخرى مسيحية في لبنان وعاصمتها طرابلس أو دير القمر. ولهذا يجب أن يكون الانتداب على سوريا ولبنان قسمين: تعطى إيطاليا الانتداب على سوريا وتحتفظ فرنسا بالانتداب على لبنان التي ترتبط منذ زمن طويل بالأمة الفرنسية". وفي نفس العام ذكرت جريدة الساعي الإيطالية بضرورة تخلي بريطانيا عن انتدابها في سوريا وفلسطين ومنحه لإيطاليا. كما ادعت الوكالة الإيطالية عدم أهلية فرنسا لحماية المسيحيين. مما سيتركهم يواجهون مصيرهم بأنفسهم (Piras, 2011, p. 107).

وهكذا أصبح الاعتقاد لدى الإيطاليين بأن مسألة انتدابهم على سوريا مرتبطة بإجراءات روتينية مع فرنسا. ففي أيار سنة ١٩٢٩م ألقى النائب الإيطالي أورازي بيدرازي (Orazio Pedrazzi) (١٨٨٩-١٩٦٢م) خطاباً في مجلس النواب جاء فيه: "إن الإيطاليين في عدد من البلدان، منها فلسطين وسوريا هم بدون قوة، ويجب أن تعرف الحكومة، كيف تستفيد منهم لقيام الامبراطورية الإيطالية". لذلك سهلت إيطاليا توقيع اتفاقية لاتيران سنة ١٩٢٩م مع بابا الفاتيكان. حيث أخذت تعزز نفوذها في حماية البعثات التبشيرية الكاثوليكية في المنطقة عن طريق "الرابطة الوطنية لرعاية الحركة التبشيرية الكاثوليكية في الشرق"، والتي كانت تمول المؤسسات الخيرية والتعليمية الإيطالية في المشرق العربي، فأنشأت مدرسة للبنين، وأخرى للبنات في رأس بيروت. وقدمت تمويلاً لدير رهبان الآباء الكرمليين الإيطاليين في طرابلس الشام، والتي كان لها مدرسة ومستشفى. كما مولت مدارس ومستشفيات في دمشق وحلب (محافظة، ١٩٨٥، ص ٤٤٩)

كانت بريطانيا وفرنسا على اطلاع على كافة التحركات الإيطالية، حيث بدأوا محاولاتهم لاحتوائها لكيلا تساند النزعة التحريرية للشاميين. وبدأت فرنسا مباحثاتها مع روما التي طالبت بتحكيم عدد من القضاة الأجانب في المسائل المتعلقة بإيطاليا. وخلال هذه الفترة أخذ الوفد الإيطالي في عصبة الأمم بدعم القضايا العربية. مما حذا بالمندوب الفرنسي للطلب من روما وقف احتجاجاتها المتواصلة، وتغيير مواقفها المعادية لمصالح بلاده (Servidio, 2002, p 139).

واتهمت فرنسا شكيب أرسلان بتحريض الإيطاليين للمطالبة بالانتداب على سوريا، وذلك أثناء وجوده في العاصمة الإيطالية، وأنه تلقى مبلغاً من المال مخصصاً لنشر كتاب عن النضال الوطني في سوريا، وأنه كان يأمل من إيطاليا مساعدته لتحقيق وحدة البلاد واستقلالها، وأن إيطاليا ساعدت اللجنة السورية – الفلسطينية للمطالبة بالاستقلال. وشمل عرض شكيب للإيطاليين بأن عليهم المطالبة بالانتداب عليها مقابل منحهم مميزات اقتصادية ومالية وتجارية، وكذلك قاعدة بحرية. لم ينكر شكيب أرسلان علاقته بالإيطاليين، لكنه كذب ما أشيع عن طلبه إليها تحويل الانتداب الفرنسي في سوريا إلى إيطاليا (Charles, et al., 1905, pp 248-255).

كاد موسوليني أن يستقطب العرب، ويكسب ثقة الكاثوليك منهم، حتى صدرت أوامره باستعادة احتلال كامل الأراضي الليبية سنة ١٩٣٠م. مما أدى إلى اشتعال المقاومة الليبية ضد الإيطاليين اللذين قابلوها بالعنف وقوة السلاح، والتي حصدت حسب الصحف التركية أكثر من (٣٦) ألف قتيل. مما حول نجاحاته المحدودة في التوافق مع القضايا التي طرحتها اللجنة السورية–الفلسطينية، إلى عجز لم يستطيع معه قناصل إيطاليا في هذه المنطقة من احتواء الغضب الشعبي الإسلامي. مما جعل موسوليني يسلك سياسة استيعاب ردة الفعل العربية على أحداث ليبيا، والمتمثلة بتركيز اهتمام العالم العربي على أن الحياة مستمرة والعيش بها يكون بالاتفاق والاختلاف، لأن الدول لها مصالح ثابته، ولكن سياستها متغيرة وفق الظروف. أما النخب العربية فهي مدركة لذلك فكانت سياستهم قائمة على أساس التضحية بالقليل لكي تبقى (بازامه، ١٩٦٥، ص ٩٧).

وقد أشارت صحيفة الأحوال سنة ١٩٣٠م إلى أن شخصيتين من بلاد الشام تهتمان بالوضع السوري في أوروبا قد زارتا روما (Piras, 2011, p. 88). ويقصد بهما شكيب أرسلان والحاج محمد أمين الحسيني (١٨٩٥-١٩٧٤م)[٧]، اللذان وصلا إلى صيغة اتفاق مع الحكومة الإيطالية ترتكز على وضع سوريا تحت الانتداب الإيطالي. أما جريدة لسان الحال فقد نشرت نص الاتفاق الذي يتضمن اعتراف روما باستقلال سوريا الداخلي على أن يكون لها ممثلون بالخارج بصفة مستشارين. وبالمقابل تتكفل روما بإرسال مستشارين لتدريب السوريين على الحكم الذاتي. وعلى هذا الأساس انطلقت الدعاية الفاشية التي اتخذت من بيروت مركزاً لها، حيث طبع بيان باللغة العربية باسم الجمعية السرية الفاشية في الخارج حددت فيها الواجبات الرئيسة للمنتسبين العرب اتجاه روما. ووزعت كراسات تبين المكتسبات التي ستحصل عليها البلاد الإسلامية الواقعة تحت الوصاية الإيطالية (الغريب، ٢٠١٤، ص ١٧٧).

عادت الصحف الإيطالية لتدافع عن القضايا العربية وتنتقد السياسة الفرنسية في سوريا، وفي سنة ١٩٣٢م صدرت في روما مجلة المستقبل العربي، والتي طالبت بإلغاء الانتداب البريطاني على العراق. وفي لقاء مع رئيس الحركة الصهيونية دافع موسوليني عن مصالح العرب بالقول: "يوجد عرب ولن يكون بالإمكان طردهم من بلادهم". وفي ٢٤ أيار ضخم وزير خارجية إيطاليا دينو غراندي (Dino Grandi) (١٨٩٠-١٩٨٨م) من دور بلاده في الشرق، وأعمالها الدبلوماسية، وأنه بالإمكان أن يعطي فكرة واضحة عن مخططها الذي تمارسه منذ سنوات. وكان هذا التطور كافياً للإعلان عن مراجعة الانتداب على سوريا لصالح إيطاليا (محافظة، ١٩٨٥، ص ٤٤٨).

ومنذ سنة ١٩٣٢م، طالبت إيطاليا بإعادة النظر في انتداب فرنسا على سوريا ولبنان. ووقف مندوب إيطاليا في لجنة الانتدابات الدائمة ماركو دي مارشيسي (Marco dei Marchesi) (١٨٧٨-...) إلى جانب المطالب الوطنية في سوريا ولبنان. وفي سنة ١٩٣٣م راح موسوليني يثير العالمين العربي والإسلامي على بريطانيا وفرنسا، وأخذ يردد معزوفته بأنه: "حامي الإسلام، ونادى بعودة الإمبراطورية الرومانية إلى ما كانت عليه في عهد القياصرة. وبأن البحر المتوسط والشعوب الضاربة على تخومه جزء منها" (أنساباتو، ١٩٨٠، ص ص ٢٣-٢٤). ونشطت الدعاية الإيطالية بمصر وسوريا ولبنان وبث فيها عيونه وأردفهم بمال كثير. حيث أصدر أنساباتو في سنة ١٩٣٤م المجلة القانونية للشرقين الأدنى والأقصى والعدل الاستعماري، وهدفها دراسة المبادئ القانونية ومصادر التشريع في الشرق اتجاه المستعمرات الإيطالية. كما صدرت مجلة البريد الدبلوماسي والقنصلي التي اهتمت بالسياسة في الشرق (Cresti e Melfa, 2003, pp 204-219).

وقد عارضت إيطاليا مشروع المعاهدة السورية – الفرنسية عندما عرضت على مجلس عصبة الأمم في أيار سنة ١٩٣٤م. وأكد على ضرورة بقاء سوريا موحدة، وإلغاء التجزئة القائمة، ورفع الانتداب الفرنسي عنها. وبدوره أعلن موسوليني خلال لقاء مع وكيل وزارة الخارجية السعودية فؤاد حمزة: "أن إيطاليا لا تطمح بالاستيلاء على أي أراضٍ عربيةٍ، وليس لها أطماع أخرى سوى إقامة علاقات تجارية وثقافية" (Colombo, 2013, p. 298).

وفي سبيل تكثيف دعايتها قامت إيطاليا بإنشاء إذاعة باري الناطقة باللغة العربية في مدينة باري الإيطالية سنة ١٩٣٤م، بقرار من الكونت غالياتسو شيانو (Galeazzo Ciano) (١٩٠٣-١٩٤٤م) لتندرج في سياق التقرب من العرب بما يخدم مصالح الفاشيين، حيث ركزت الإذاعة على تمجيد قوة إيطاليا ونظامها السياسي، والإشادة بالحضارة العربية الإسلامية، وتنمية الشعور بالاعتزاز القومي لدى المستمع العربي، وتأييد المطالب الوطنية في البلاد العربية. كما شنت هجوماً على السياسة الاستعمارية البريطانية والفرنسية في الأقطار العربية الواقعة تحت هيمنتها. وخلصت الصحف الإيطالية إلى الإشارة: "أن فرنسا مجبرة على مغادرة سوريا، وأنها تسعى حول تقسيم الانتداب عبر منح إيطاليا بعض البلدان الآسيوية في حوض المتوسط" (محافظة، ١٩٨٥م ص ٤٥٣).

كما شجعت الحكومة الفاشية التنظيمات الطلابية التحررية في العالم. إذ عقد المؤتمر الثاني للطلبة الشرقيين في روما سنة ١٩٣٤م، والذي افتتحه موسوليني بالقول: "الشرق يجب أن يحيا". وحضره مندوبون عن ثلاثين جمعية ومنظمة طلابية. وأسفر المؤتمر عن تشكيل مجلس للمؤتمر ولجنة تنفيذية ومكتب دائم. وضمت اللجنة التنفيذية عضواً عربياً هو الأمير شكيب ارسلان. وقد استقبل موسوليني الوفد حيث قدم شكيب أرسلان ثلاث مذكرات تتعلق بفلسطين وسوريا وليبيا. واعتبرت الأجوبة على تلك المذكرات إيجابية، وبعث أرسلان برسالة إلى الحاج أمين الحسيني نشرتها مجلة الجامعة الإسلامية في القدس في حزيران سنة ١٩٣٥م، جاء فيها: "أن أرسلان مقتنع أن إيطاليا لن تعامل العرب كما تعاملهم فرنسا وبريطانيا، وأن الدعاية الإيطالية في البلاد العربية سوف تشتد قريباً نظراً لقرب اندلاع حرب عالمية جديدة" (الغريب، ٢٠١٤، ص ١٨٦).

على العموم أصبح التوجه السياسي الإيطالي مقبولاً، واستقبله العرب والمسلمين بارتياح. وشهدت تلك الفترة نشاطاً فاشياً ملحوظاً. إلى جانب ذلك أنشأ النظام الفاشي كونفدرالية للطلاب العرب في روما. وأصدروا لهم مجلة باللغة الفرنسية. وقد شهدت تلك السنة تزايداً ملحوظاً لعدد الرحلات الترفيهية المنظمة إلى إيطاليا بأسعار منخفضة جداً (لا تتجاوز عشر ليرات سورية) للشباب من الجنسيين من تحت العشرين سنة مرتدين القمصان الفاشية السوداء. تم بعدها تشكيل فرقة الكشافة العربية على النظام الفاشي بغرض تنمية روح الشباب العرب ورفع منزلتهم إلى مستوى الشباب الإيطالي صحياً وأدبيا وعلمياً ورياضياً بحيث يصبحون في المستقبل رجالا يصلحون لخدمة بلادهم وتعزيز مركزها. وهذه الفرقة تنقسم إلى ثلاثة أقسام، ومجموع أعضائها (٨٠٠) شاب من أبناء الوطن تمرنوا على مختلف أنواع الرياضة من ركوب الدراجات والملاكمة والسباحة (بكر، ١٩٣٦، ص ٧٨-٨٠).

وخلال العام نفسه لوحظ قيام علاقات جيدة بين أبناء الجالية الإيطالية والرعايا اللبنانيين والسوريين، وخاصة بعد أن افتتحت الجالية ناديا خاصا لها في بيروت، والسماح للشاميين بالدخول إليه بحرية تامة واللقاء المباشر مع الرعايا الإيطاليين. كما نظم الحزب الفاشي بواسطة المعهد العربي في نابولي دعاية تنطلق من الوعد بالحرية لكل المسلمين الذين يقبلون مساعدته، وقد نجحت الدبلوماسية الإيطالية في تحقيق اختراق في بعض الأوساط العربية. والتي كانت ثمرة جهود متواصلة، فقد استطاعت إيطاليا أن تعقد صلات وثيقة مع مفتي القدس والبلاط الملكي المصري (Piras, 2011, pp 94-97).

بدأ الموقف السياسي داخل البلاد العربية بالتغيير منذ أواسط الثلاثينيات بعد أن كسبت إيطاليا في الداخل العربي تأييد المسلمين والمسيحيين، وبدأت بجذب الكثير من الأنصار الذين أخذوا يبتعدون عن بريطانيا وفرنسا، ومنهم الوطنيون الذين اتخذوا مواقف متطرفة ضد فرنسا وبريطانيا. ثم توالى ظهور المجموعات الكشفية على شاكلة المنظمات الفاشية شبه العسكرية؛ فقام في مصر حزب القمصان الخضراء، وحزب الفتوة في العراق، وظهرت في حلب منظمة القمصان الحديدية، وفي حمص تأسست عصبة العمل الوطني. وفي دمشق ولدت منظمة الحرس الوطني والحزب القومي السوري. وفي لبنان نشأت منظمة القمصان البيضاء، وحزب الوحدة اللبنانية، ومنظمة الكتائب، ومنظمة النجادة سنة ١٩٣٦م (Colombo, 2013, pp 297-305).

ما حصل من تغييرات في كل من إيطاليا وألمانيا على يدي موسوليني وهتلر كانت تصل أخباره إلى العالم العربي. ولم يكن غريباً أن يبدي العرب إعجابهم ببروز هذه الدول على المسرح العالمي، وأن يتابعوا ما حققته من إنجازات نكاية بأعدائهم في فرنسا وبريطانيا. ولم تجد النخب العربية حرجاً في تنمية العلاقات الودية مع زعماء الفاشية والنازية من أجل الدفاع عن قضاياهم الوطنية وإقناع أصحاب الرأي والنفوذ بعدالة قضاياهم. وقد عبرت عن ذلك صحيفة الزهرة التونسية في تشرين الثاني سنة ١٩٣٧م بمقالة عنوانها "إيطاليا والشرق العربي" جاء فيها: "أن الشكوى والتذمر اللذين عمّا أقطار المشرق العربي من سياستي بريطانيا وفرنسا والدعاية التي نشرتها إيطاليا في هذه الأقطار قد قدمت الدليل على حسن نية إيطاليا نحو العرب". ورحبت الصحيفة بالعون الإيطالي المادي والمعنوي للعرب، ولكنها حذرت من أن يتحول هذا العون إلى خطر يهدد استقلالهم وحريتهم. كما تناولت صحف أخرى محلية وأجنبية أخبارا عن مدى التواصل العربي مع الفاشية والنازية (هيرزويز، ٢٠١٥، ص ٨٧).

تحسنت سمعة إيطاليا في المشرق العربي بعد اجتياحها للحبشة. إذ نشرت صحيفة ذا تايمز اللندنية في أيار سنة ١٩٣٦م، تقول: "إن الإيطاليين يتمتعون بإعجاب العرب بهم، لأنهم الأمة الوحيدة التي تجرأت على الوقوف في وجه أسطورة الإمبراطورية البريطانية التي لا تقهر". كما أكد القنصل العام في بيروت دي تشيكو، أثناء خطابه في البرلمان الإيطالي بأنه: "بعد حرب الحبشة وانتصار موسوليني فيها قريباً ستجد فرنسا نفسها مضطرة أن تسلمه سوريا ولبنان" (محافظة، ١٩٨٥؛ التميمي، ١٩٧٨).

عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية، تردد موسوليني في خوضها بحجة أن استعداداتها غير كافية لدخولها. لذا أعلن موسوليني، في اليوم الثاني من الهجوم الألماني، على بولندا بأن بلاده لا تعادي أحدا. ولكن عندما جاءت الانتصارات الساحقة التي حققها الجيش الألماني على الجبهة الغربية سارع موسوليني إلى دخول الحرب معتقداً بأن يوم النصر قد اقترب، وأنه لا بد من المشاركة في الغنائم، لاسيَّما أن التعهد الألماني يجعل المنطقة العربية منطقة نفوذ لإيطاليا، وهي من المغريات التي طالما راودت موسوليني للحصول على مكاسب استعمارية. عندها قال موسوليني للجنرال بياترو بادوليو (Pietro Badoglio) (١٨٧١-١٩٥٦م) في أيار سنة ١٩٤٠م: "في أيلول سينتهي كل شيء، ولا أحتاج إلا لبضعة آلاف من القتلى حتى أجلس كمقاتل على مائدة السلام". وفي حزيران من نفس العام، دخلت إيطاليا الحرب. وفي ظل توالي الانتصارات الألمانية في أوروبا تحركت الدبلوماسية الإيطالية باتجاه العالم العربي، ففي البداية بعث وزير الخارجية الإيطالي شيانو إلى مدير قسم معاهدة الهدنة والسلام التابعة له: "إلى إلغاء المعاهدة البريطانية المصرية واستبدالها بمعاهدة تحالف استثنائية بين إيطاليا ومصر، ومشاركة الإيطاليين بدلاً من البريطانيين في الحكم المشترك على السودان، وتأسيس دولة مستقلة في سوريا ولبنان وفلسطين ترتبط كل منها مع إيطاليا بمعاهدة تعاون متبادل" (شعيب، ٢٠٠٢، ص ص ١٣٧-١٣٩).

كانت تحركات إيطاليا الدبلوماسية سريعة لفرض الانتداب على سوريا ولبنان. وبعد ستة أيام من القتال على الجبهة الفرنسية في حزيران سنة ١٩٤٠م وقعت اتفاقية الهدنة الإيطالية – الفرنسية في روما بين حكومة فيشي الفرنسية، التي نشأت بعد احتلال ألمانيا لفرنسا، وبين الحكومة الإيطالية. كان من شروط الهدنة أن تتولى إيطاليا توسيع سيطرتها، والتأكد من التخفيض الجزئي لأسلحة المستعمرات الفرنسية، حيث قدم إلى سوريا موفد إيطالي كان الغاية من زيارته تطبيق شروط الهدنة، وبحلول تشرين ثاني كان قد حقق خفضاً في عدد القوات الفرنسية النظامية المرابطة فيها وصل إلى (٢٨) ألف جندي، ودعم سوريا بعشرة آلاف جندي من إيطاليا وألمانيا. وهكذا وضعت إيطاليا يدها على جزء كبير من سوريا (بكر، ١٩٣٦؛ هيرزويز، ٢٠١٥).

كان هدف إيطاليا الأول السيطرة على البحر المتوسط. وعند دخولها الحرب اعترف هتلر لموسوليني بحق إيطاليا في ذلك. كما أطلق يده في الأقطار العربية، واعترف له بأنها ضمن منطقة النفوذ الإيطالية. وحصل على وعد من هتلر في حزيران سنة ١٩٤٠م بضم الصومال الفرنسي وتونس إلى الممتلكات الإيطالية، وانتقال حقوق بريطانيا وامتيازاتها في مصر والسودان إلى إيطاليا. وطالب الكونت شيانو في تموز سنة ١٩٤٠م بفرض الحماية الإيطالية على تونس وعلى جزء من الجزائر، وربط سوريا ولبنان وشرق الأردن وفلسطين بمعاهدات تحالف وصداقة مع إيطاليا، واحتلال المواقع الإستراتيجية فيها، وانتقال حقوق بريطانيا وامتيازاتها في مصر والسودان إلى إيطاليا والاستيلاء على الصومال البريطاني وعدن وجزيرة سوقطرى (Palieri, 1926, p 127).

وبالنسبة لاتصالات الزعماء العرب مع دولتي المحور فقد كانوا مصرّين، وقبل كل شيء، على صدور تصريح يساند مطالبهم بالاستقلال وارتباط الدول

العربية باتحاد فيدرالي. وفي ظل ظروف الحرب، وحاجة الإيطاليين الحيوية للتعاون مع القوميين العرب تمهيداً للعمليات العسكرية المقبلة التي ستقوم بها قوات المحور، فاستجاب الوزير الإيطالي المفوض في بغداد لويجي غابريلي (Luigi Gabrielli) (...-١٩٥٦م) لمطالب القوميين العرب في بغداد، وسلم رئيس وزراء العراق، رشيد عالي الكيلاني (١٨٩٢–١٩٦٥م)، رسالة في تموز سنة ١٩٤٠م تتضمن وعداً رسمياً من إيطاليا بالاعتراف باستقلال أقطار الشرق العربي. على اعتبار أن الشرق الأوسط منطقة نفوذ إيطالية. كما قال ناجي شوكت (١٨٩١–١٩٨٠م)، موفد القادة القوميين حسب ما ورده من فون بابن (Von Papen) (١٨٧٩-١٩٦٩م) سفير ألمانيا في تركيا في آب سنة ١٩٤٠م (هيرزويز، ٢٠١٥، ص ٨٢).

ولكن خطط الحكومة الإيطالية جعلتها تتجنب إعطاء ضمانة محددة بالاستقلال العربي، ولم يطرأ تغيير على وجهة النظر الإيطالية بهذا الصدد بعد إصدار إيطاليا لتصريح ٢٣ تشرين الأول سنة ١٩٤٠م المتعلق برفض أي مساندة للمطالب العربية بالوحدة. مما اضطر الحاج أمين الحسيني في ٦ تشرين الثاني للسفر إلى روما، حيث تم الاتفاق على مسودة أولية تسمح بقيام دولة عربية ميزها الإيطاليون بـ "البلدان العربية في الشرق الأدنى"، وهي؛ العراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن، تميزاً لها عن البلدان الأخرى. وهكذا ساند الإيطاليون تحرير هذه البلدان من البريطانيين واستقلالها. ولكن من دون حدود أو أية أشاره للسيادة الكاملة والاستقلال التام (الغريب، ٢٠١٤؛ Colombo، ٢٠١٣).

بقيت إيطاليا مترددة بخصوص ما تناقله العرب عن التحرر والاستقلال، لذا نرى محاولة الكونت شيانو، وزير خارجية إيطاليا، بإقناع الألمان بأن مثل هذا الاعتراف سوف يفتح الأبواب لنفوذ دول أخرى عليها. فالشعوب العربية في تقديره لا تملك الخبرة الكافية، ولا القدرة الذاتية على حكم نفسها بنفسها. وهذه الحجج التي ساقتها فرنسا وبريطانيا لاستمرار حمايتها على بعض البلاد العربية، وانتدابها على بعضها الآخر. وقد أعرب شيانو للمسؤولين الألمان عن شكه في قدرة العراق على التحرر من الهيمنة البريطانية. وجاءت تقارير من السفير الألماني في تركيا تؤكد بالمقابل شكوك العرب نحو إيطاليا. مما يرسخ القناعات الإيطالية بفرض نفسها كقوة بديله للانتداب الفرنسي وليس تلبية لمطالب العرب التحررية. وفي ٨ حزيران سنة ١٩٤١م قام الحلفاء بشن حملة عسكرية على حكومة فيشي في سوريا ولبنان انتهت بانتصار الحلفاء، وبعد الحرب استقلت سوريا ولبنان، حيث وجهت ضربة قاصمة للأطماع الإيطالية فيهما (هيرزويز، ٢٠١٥، ص ٨٩).

الخاتمة:

يتضح مما ورد في الدراسة أن إيطاليا على الرغم من نزولها متأخرة إلى حلبة المنافسة الاستعمارية بسبب تأخر قيام الوحدة الإيطالية، إلّا أنها تمكنت من وضع بصماتها التوسعية في المنطقة العربية، وخاصة في سوريا ولبنان لتعويض ما فاتها. وقد بدأ الاهتمام الإيطالي مبكراً بالاعتماد على البعثات التبشيرية، والقناصل الدبلوماسيين. وكذلك انتهاج أسلوب الدعاية المكثفة في كافة الوسائل لفرض استعمارها الجديد الذي يختلف عن سابقيه (بريطانيا وفرنسا).

أظهرت الدراسة مدى عزم الحكومة الإيطالية على إيجاد موطئ قدم لها في المنطقة، وبكافة السبل المتاحة، كما فعلت في منطقة جبل لبنان، وذلك عن طريق التدخل المباشر في الحرب الأهلية التي اندلعت هناك في الفترة ١٨٤٥-١٨٦٠م، بين الدروز والموارنة، ومحاولة فرض رجال الدين من الإيطاليين على الحياة الدينية والاجتماعية في لبنان. وكيف أن إيطاليا عندما اصطدمت بالصراعات المحلية بين اللبنانيين توجهت إلى البحث عن نقاط ارتكاز لها في الداخل السوري، معتمده على سمعة المدن الإيطالية السابقة، وفي فرض البعثات التبشيرية داخل المجتمع للسيطرة على المدارس والكنائس والمستشفيات، وعلى كافة الأعمال الخيرية الأخرى.

وقد حاولت إيطاليا فرض نفسها كدولة انتداب على سوريا ولبنان كبديل عن الانتداب الفرنسي، بحجة أن إيطاليا يمكنها منح هذه المناطق استقلالاً واضحاً، وأنظمة حكم حضارية تختلف عن الذي قدمته بريطانيا وفرنسا، إلا أنها اصطدمت بقدم المؤسسات الفرنسية والبريطانية في المنطقة، وتداعيات الحرب الإيطالية – التركية التي انتهت بفرض الاستعماري على ليبيا.

المراجع العربية

١. أنساباتو، أ. (١٩٨٠)، العلاقات العربية الايطالية (١٩٠٢-١٩٣٠م) من مذكرات أنريكو أنساباتو وكارلو قوتي بور شيناري، ترجمة عمر البارواني، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

٢. بار، ج. (٢٠١٥)، خط في الرمال: بريطانيا وفرنسا والصراع الذي شكل الشرق الأوسط، ترجمة سلافة الماغوط، ط١، لندن، دار الحكمة.

٣. بازامه، م. م. (١٩٦٥)، العدوان أو الحرب بين إيطاليا وتركيا في ليبيا، ط١، جزئين، طرابلس، منشورات مكتبة الفرجاني.

٤. بكر، م. ن. (١٩٣٦)، إيطاليا في مستعمراتها، القاهرة، مطبعة الآخاء بالخازندار بالأزهر.

٥. التميمي، ع.م. خ.، (١٩٧٨)، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي (دراسة تاريخية مقارنة)، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت بعنوان "عالم المعرفة"، سلسلة (٧١)، بإشراف احمد مشاري العدواني (١٩٢٣-١٩٩٠م)، فبراير ١٩٨٣م.

٦. الجابري، م. ه.، والجبوري، عباس حسون (٢٠١٥)، دور الفرنسيين في نفي المطران بطرس البستاني، مجلة كلية التربية، جامعة بابل، العدد٢٠، الصفحات ٣٧٥-٣٨٤.

٧. الجمل، ش. ع.ط.، وإبراهيم، ع.أ. ع.ر.، (٢٠٠٠)، تاريخ اوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، القاهرة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات.

٨. زين، ز. ن. (١٩٧٧)، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، ط٢، بيروت، دار النهار للنشر.

٩. شعيب، ع. ع. (٢٠٠٢)، الصراع الإيطالي – الفرنسي على بلاد الشام ١٨٦٠ – ١٩٤١م، ط١، بيروت، دار الفارابي.

١٠. عيسى، إ. ز. (١٩٩٨)، موسوعة لبنان: تاريخ سياسة وحضارة، ط١، بيروت، الدولية للمنشورات.

١١. الغريب، ع. (٢٠١٤)، الحاج محمد أمين الحسيني ودوره في الحركة الوطنية (١٨٩٧-١٩٧٤م)، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

١٢. محارتي، إ. (٢٠١٣)، ومجموعة من المؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى، ط١، المجلد الأول، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

١٣. محافظة، علي (١٩٨٥)، موقف فرنسا وألمانيا من الوحدة العربية ١٩١٩-١٩٤٥م، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

١٤. نوار، ع.ع. س.، ونعنعي، ع.م. (١٩٧٣)، أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

١٥. هيرزويز، ل. (٢٠١٥)، ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة، المركز القومي للترجمة.

١٦. ياغي، إ. أ. (١٤١٨هـ/١٩٩٧)، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان.

المراجع الأجنبية:

1. Carpi, L. (1874), Delle Colonie e dell'Emigrazione degl'Italiani all'Estero nei Loro Rapporti coll'Agricoltura, Milano, Industria e Commercio.
2. Charles G. H., Edward A. P., Condé B. P., Thomas J. S. & John J. W., (1905), Catholic Encyclopedia: International Work of Reference on the Constitution, Doctrine, Discipline, and History of the Catholic Church, New York, published by the Robert A. Co (RAC).
3. Colombo, S. (2013), Italy and Saudi Arabia Confronting the Challenges of the XXI Century, 1st Published, Roma, Istituto Affari Internazionali (IAI).
4. Cresti, F., Melfa, D. (2003), Le Migrazioni Attraverso il Mediterraneo, "Da Maestrale E da Scirocco", Facolta di Scienze Politiche, Catania.
5. Lintner, V., (2004), A Traveler's History of Italy, Inter Link Books Published, New York, 1st Published.
6. Luigi, C. F. (1872), Del Primato Italiano Sul Mediterraneo, Publisher E. Loesche.
7. Mazza, R., Rioli, M. C. & Ancel, S. (2018), The Italian Consulate in Jerusalem: The History of a Forgotten Diplomatic Mission: 1846-1940, Institute for Palestine Studies, Jerusalem.
8. Palieri, M. (1926), Comtributo alla Biblio grafia e Cartografia Della Somalia Italiana, Roma, Istituto Coloniale Fascisa.
9. Piazza, G. (1911), Nostra Terra Promessa. Lettere dalla Tripolitana, 2nd Ed, Roma.
10. Piras, M. (2011), Politica Islamica E Prooaganda Fascista In Siria E Libano (1932 – 1940), Dottorato di Ricerca in Storia, Istituzioni e Relazioni, Internazionali dell'Asia E Dell'Africa, Ciclo XXIV, Università degli Studi di Cagliari.
11. Roux, G., Mussolini (1960), Il Titolo Originale Dell'Opera Francese, Edito Dalla Libreria "Arthem et Fayaed", Traduzione di Alessandro Lessona, Firenze.
12. Servidio, A. (2002), L'imbroglio nazionale: Unità e Unificazione dell'Italia (1860-2000), Alfredo Guida Editore, Napoli.

الهوامش:

١. أنريكو أنساباتو مستشرق وطبيب إيطالي، من أبرز مؤلفاته محمد والإسلام الحديث عام ١٩٣٠م (Lintner, 2004, p 92-93). أما كارلو ألفونسو نلينو، فهو مستشرق إيطالي تعلم اللغة العربية في جامعة تورينو الإيطالية، عمل أستاذاً للغة العربية في المعهد العلمي الشرقي بنابولي، وفي عام ١٩٠٩م انتقل للتدريس في الجامعات المصرية، له عدة مؤلفات باللغة العربية، منها؛ تكوين القبائل العربية قبل الإسلام عام ١٨٩٣م، وتاريخ علم الفلك عند العرب في القرون الوسطى عام ١٩١٢م، وعلاقة العالم الإسلامي بأوروبا عام ١٩٣٣م (Lintner, 2004, p 97-98).

٢. موسوليني: رئيس وزراء إيطاليا في الفترة (١٩٢٢- ١٩٤٥م)، شغل منصب رئيس الدولة الإيطالية، ورئيس وزرائها. ويعتبر مؤسس الحركة الفاشية الإيطالية، سمي بالدوتشي (Il Duce) أي القائد (Lintner, 2004, p 54).

٣. مجلة النادي: مطبوعة إيطالية – عربية، وجدت في القاهرة في الفترة (١٩٠٤-١٩١٣م) على شكل جريدة أسبوعية ثم مجلة شهرية. (أنساباتو، ١٩٨٠، ص ٣٥).

٤. نسبة إلى الملك أمبرتو الأول (Umberto I) (١٨٤٤-١٩٠٠م) ملك إيطاليا الذي تسلم الحكم من سنة ١٨٧٨م، وحتى اغتياله سنة ١٩٠٠م (Lintner, 2004, p 79).

٥. الموارنة؛ هي طائفة مسيحية تتبع الكنيسة المارونية الي أسسها الراهب مار مارون (St. Marone) في القرن الرابع الميلادي، واقترن أتباعه باسمه، مؤسسين بذلك الكنيسة المارونية (Charles, et al., 1905, pp. 386-389). أما الدرزية: فهي طائفة دينية تؤمن بمذهب التوحيد ذي التعاليم الباطنية، وتعود أصوله إلى الطائفة الإسماعيلية الشيعية. أسسها محمد بن إسماعيل أنوشتكين الدرزي (ت ١٠١٨) في القرن العاشر الميلادي، ويعتبر الدروز النبي شعيب المؤسس الروحي والنبي الرئيسي في مذهب التوحيد (بار، ٢٠١٥، ص ص ١٧١-١٧٢).

٦. عقد المجلس التأسيسي للمؤتمر السوري-الفلسطيني في جينيف في ٢١ أيلول سنة ١٩٢١م، وتكونت اللجنة من: شكيب أرسلان وتوفيق حماد وميشيل لطف الله. وكان هدفه المطالبة بالاستقلال (شعيب، ٢٠٠٢، ص ٦٣).

٧. تولى الحسيني منصب الإفتاء، ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين. حاولت سلطات الانتداب البريطاني سنة ١٩٣٧م القبض عليه، فهرب إلى لبنان ثم إلى العراق (الغريب، ٢٠١٤، ص ١٣).

References translated Arabic:

I. Ansabato, A. (1980), Arab-Italian relations (1902-1930 AD) from the diaries of Enrico Ansapato and Carlo Guti Port Chinari, translated by Omar Al-Baroni, Tripoli, publications of the Libyan Jihad Center for Historical Studies.
II. Bar, c. (2015), A Line in the Sand: Britain, France and the Conflict that Shaped the Middle East, translated by Sulafa Al-Maghout, 1st Edition, London, Dar Al-Hikma.
III. Bazamah, M. M. (1965), Aggression or War between Italy and Turkey in Libya, i 1, two parts, Tripoli, Ferjani Library Publications.
IV. Bakr, M. N. (1936), Italy in its colonies, Cairo, Al-Akha's Press in Khazindar, Al-Azhar.
V. Al-Tamimi, A.M. K., (1978), Foreign Settlement in the Arab World (A Comparative Historical Study), a series of monthly cultural books issued by the National Council for Culture, Arts and Literature - Kuwait entitled "The World of Knowledge", series (71), supervised by Ahmad Mashari Al-Adwani (1923-1990 AD) February 1983.
VI. Al-Jabri, M. H., and Jabouri, Abbas Hassoun (2015), The Role of the French in Bishop Boutros Al-Bustani's Exile, Journal of the Faculty of Education, University of Babylon, Issue 20, pages 375-384.
VII. Jamel, st. A.T., and Ibrahim, A.A. AR, (2000), History of Europe from the Renaissance to the Cold War, Cairo, Egyptian Bureau for Publications Distribution.
VIII. Zain, g. N. (1977), The International Conflict in the Middle East and the Birth of the Countries of Syria and Lebanon, 2nd Edition, Beirut, An-Nahar Publishing House.
IX. Shoaib, A. P. (2002), The Italian-French Conflict over the Levant 1860-1941 AD, 1st Edition, Beirut, Dar Al-Farabi.
X. Isa, E. G. (1998), Encyclopedia of Lebanon: A History of Politics and Civilization, 1st Edition, Beirut, International Publications.
XI. Garib, p. (2014), Hajj Muhammad Amin al-Husseini and his role in the national movement (1897-1974), Beirut, Civilization Center for the Development of Islamic Thought.
XII. Mahrti, I. (2013), and a group of authors, One Hundred Years of the First World War, 1st Edition, Volume One, Doha, Arab Center for Research and Policy Studies.
XIII. Governorate, Ali (1985), The Position of France and Germany on Arab Unity 1919-1945 AD, 1st Edition, Beirut, Center for Arab Unity Studies.
XIV. Nawar, A.A. S., Na'ai, A.M. (1973), Europe from the French Revolution to the Second World War, Beirut, Arab Renaissance Publishing House.
XV. Herzoys, L. (2015), Hitler's Germany and the Levant, translated by Ahmed Abdel Rahim Mustafa, Cairo, National Center for Translation.
XVI. Yagi, E. a. (1418 AH / 1997), The Arab World in Modern History, 1st Edition, Riyadh, Obeikan Library.